محاولة الجزائر العثمانية توحيد المغرب العربي: بين الطموحات الإستراتيجية والإخفاق السياسي.

أ.د. حنيفي هلايلي
جامعة سيدي بلعباس

إن علاقات الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني تندرج ضمن ثلاثة أصناف عريضة، تلك مع دول المغرب المجاورة: تونس والمغرب الأقصى، والعلاقات الجزائرية الأوروبية، ففي الحالتين الأولى والثانية، كان الهدف الجزائري الأساسي واحد، يتمثل في منع أي تجمع أو تحالف قوي بدرجة يؤدي إلى القضاء على الإيالة أو تهديد أمنها الخارجي.

تشير معظم الدراسات إلى الدور السياسي الذي لعبته كل من تونس والمغرب في إضعاف القدرات الحربية للجزائر وهذا من خلال الحروب المتبادلة بين الجزائر والجارتان، أو في تغذيتهما للثورات الشعبية أواخر القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر، وهو الأمر الذي كان له دور مميز في الإخلال بالقوة الدفاعية للجزائر. ونرى من جهة أخرى أن هذا التدخل من الدولتين المجاورتين كان أمر متوقعا، لأن الجزائريين أنفسهم كانوا يتدخلون بدورهم في شؤون جيرانهم في الأوقات المناسبة وخاصة في شؤون الإيالة التونسية. فمن الناحية الشرقية تباعدت سياسة تونس عن الجزائر منذ انفصال إيالة تونس عن الجزائر، بتكوين باشويتين مستقلتين.

بالرغم من المحاولات العثمانية المتكررة في التوسط بين الطرفين وفض النزاع بينهما، وبضرورة توحيد القوى لمواجهة الأخطار الخارجية المحدقة بالدولتين، فقد لبى حكام البلدين في كثير من الأحيان هذه النداءات التي كان يبعث بها الباب العالي (1). ولكن لم تفضي إلى نتائج تذكر ، وبقي الحال هكذا إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.

أما من الناحية الغربية فقد فشل العثمانيون في بسط نفوذهم على أراضي المغرب الأقصى، وتدخلوا في كثير من الأحيان في مد المساعدة للمنافسين والثائرين عل سلاطين المغرب، وانتهاج سياسة التفرقة واستغلال الظروف التي أعطت ثمارها وخاصة أواخر الأسرة السعدية وأوائل دولة

الأشراف العلويين[2]. ومما أثر في تدهور العلاقات الجزائرية المغربية، هي محاولة المغرب القيام بتحالف مع إسبانيا، كان الغرض منه تجهيز أسطول مغربي بأموال إسبانية لضرب مدينة الجزائر[3].

عمل سلاطين المغرب منذ العهدين (السعدي والعلوي)، على مبدأ إضعاف إيالة الجزائر والبحث عن حلفاء من أجل مد سلطانهم على أراضي الغرب الجزائري، وهذا بتشجيع المناوئين والمناهضين للأتراك العثمانيين ، وإعانتهم بالمال والسلاح أو الدخول في حرب مباشرة مع القوات الجزائرية. وكان لهذه السياسة دور هام في عدم استقرار الأوضاع الداخلية للجزائر وخاصة مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر[4].

وكان للعوامل الخارجية أثر كبير في تدهور النظام الحربي للأيالة الجزائرية، وتتمثل أولا في تعرض حدود الأيالة الشرقية والغربية للخطر، بعد أن بدأ تدخل المغاربة والتونسيين يأخذ شكل مساعدة مادية ومعنوية للزعماء المحليين الناقمين، باعتبارهم حلفاء تقليديين لبايات تونس وملوك المغرب، كالطريقة الدرقاوية ذات الميول المغربية وعشائر الحنانشة المتأثرة بالدعوة الشاذلية بالجنوب الغربي التونسي[5].

ونظرا لأهمية هذا الدور وأبعاده في انعدام الأمن على المستوى الخارجي للإيالة الجزائرية، فإن دراسة تطور العلاقات بين الإيالة وجارتيها، يتيح لنا الفرصة للتعرف على ماهية الخطر الحدودي ودوره في انهيار النظام الدفاعي للجزائر[6] خلال هذه الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر العثمانية. وكذا محاولة الجزائر إدخال كل من تونس و المغرب إلى حظيرة الخلافة العثمانية تحت الوصاية الجزائرية.

1. دور تونس

إن التدخل العسكري الذي قامت به القوات الجزائرية ضد تونس الفتح العثماني لها، كان الغرض منه هو ضمان مسايرة الحكام التونسيين للزعامة الجزائرية، وذلك ضمن الإطار العام للحكم العثماني غير المباشر في شمال إفريقيا.

لقد أرسلت بعثة ديبلوماسية تونسية إلى السلطان العثماني **سليمان القانوني**(1520-1566) سنة 1531م، كان الهدف الجوهري منها، السعي إلى كسب موافقة السلطة السياسية والدينية العليا للدولة اعثمانية على مطلب أيالة الجزائر، والتي بينت الأحداث أن لها طموحات ترابية في مملكة الحفصيين المنهارة: إن إقدام **خير الدين** على عثمنة واحتواء تونس بعد ثلاث سنوات من تاريخ هذه البعثة التونسية، يؤكد صدق مخاوف السلطان **أحمد الحفصي** يومئذ من جاره العثماني بالجزائر[7]. كان الوضع الإداري في تونس متدهورا جدا. وكان أمر البلاد خاضعا للزعامات المحلية التي كانت تتأرجح بين الدفاع عن مصالحها الاقتصادية وبين الموالاة من حين لآخر للسلطة المركزية إسميا. وهذا ما يؤكد أن الإشراف الحفصي على تونس كان مفقودا تماما.

تشير بعض الدراسات إلى أن التونسيين قد ناشدوا مساعدة العثمانيين بالجزائر باعتبارهم منقذين، وهذا من خلال إرسال القبائل التونسية للعديد من رؤسائها لطلب النجدة[8]. وقد حرص **أحمد الحفصي** للمحافظة على استقلالية الرقعة الترابية الخاضعة له من توسع العثمانيين من جهة، وتحذير الحامية الأسبانية المتواجدة بتونس وحلق الوادي من ذلك. وقد ارتبط بعلاقات تعاون ظاهري مع **درغوث باشا** أيام توليه على طرابلس الغرب. ومع هذا فإن **درغوث باشا** قد حافظ على مراسلاته السياسية مع السلطان الحفصي الذي كان ممتنا له لتمكنه من القضاء على أعدائه الشابيين الذين أجلاهم عن القيروان بتاريخ 27 ديسمبر 1551م[9].

وفي هذا السياق تحرك **قليج علي** باشا للقيام بحملته على تونس في شهر أكتوبر 1569م[10]، وقد توفق في ربط ما تبقى من القطاع الترابي الحفصي إلى الإدارة العثمانية بالجزائر، دون أن يغير الوضع القائم بقلعة حلق الوادي والتي كانت تشرف عليها حامية إسبانية، والتي التجأ إليها السلطان الحفصي، وعين علج علي باشا رمضان باي، وجهزه عسكريا، تاركا له ثلاثة آلاف من الإنكشاريين لحسن التسيير الإداري والعسكري. وفي منتصف 1573م، صدرت عن السلطة المركزية العثمانية عدة

فرمانات تؤكد على أن تونس تتمتع بنظام إداري مستقل في إطار إيالة عثمانية، وهو الأمر الذي سوف يتأكد على إثر الحملة العثمانية سنة 1574م.

إن نجاح هذه الحملة العثمانية العسكرية الحاسمة والأخيرة في التاريخ البحري العثماني على قلعتي حلق الوادي وسان جون الإسبانيتين، جعل **سنان** باشا **وعلج علي** باشا يؤكدان على استقلالية إيالة تونس وتأكيد مكانة حيدر باشا، باعتباره بيلربايا عليها، وهي الرتبة التي سوف تمكنه من الإشراف على الإيالة حتى أوائل سنة 1576م، ليتم تعويضه برجب باشا[11]. إن الحدود الجغرافية لإيالة تونس قد ضبطت على إثر عثمنتها ابتداء من صيف سنة 1574م، فالباشا المعين من طرف الباب العالي، يساعده ديوان من الضباط الكبار للأوجاق بالإضافة إلى وجهاء تونس. وبعد ذلك ثار رجال الأوجاق في سنة 1591م ونصبوا واحدا من ضباطهم يتولى القيادة كرجل ثان إلى جانب الباشا، ولكنه مسؤول عن القانون والنظام[12]. وبعد عديد من التغييرات في نظام الحكومة في إيالة تونس استقر خط البايات في شكل حكم عائلي، في الوقت الذي كان فيه دايات الجزائر يطلبون التدخل في عديد من الخلافات العائلية للحكام التونسيين[13].

كلف الباب العالي **حيدر باشا** بإدارة تونس كبيلرباي، منذ 18 ماي 1573م، وابتداء من هذا التاريخ، تحولت تونس إلى أيالة عثمانية مستقلة، أما السلطة العثمانية فقد صدرت عنها عدة فرمانات تؤكد على استقلالية تونس في إطار أيالة عثمانية منذ الحملة العثمانية سنة 1574م[14]. تباعدت سياسة تونس عن الجزائر تباعدا كبيرا منذ انفصال تونس عن الجزائر، بتكوين باشويتين مستقلتين عن بعضهما البعض. وبالرغم من محاولات السلطة العثمانية المتكررة في فض النزاع بين البلدين ، والحث بضرورة توحيد الجهود لمواجهة الإحتلال الإسباني مستقبلاً لكلا الدولتين. فقد لبى حكام البلدين في كثير من الأحيان هذه النداءات[15].

تعود أصول مسألة الحدود بين البلدين إلى المشاحنات والصراعات القائمة بين مختلف القبائل المتاخمة لحدود التماس بين الدولتين، وبخاصة حول أراضي المراعي. لقد سويت المشكلة سنة 1614م بتمديد مناطق القبائل التابعة

لبايليك قسنطينة في عمق التراب التونسي[16] . وقد لعبت مشكلة الحدود بين الدولتين دورا كبير في تأزم العلاقات السياسية بين الجارتين. ففي عهد **حسن باي** قسنطينة (1608-1622م) تم إبرام معاهدة ضبط الحدود مع إيالة تونس عام 1614م لكن في عهد **يوسف داي** (1610-1637م) قام التونسيون بخرق المعاهدة، فلجأ **مراد باي** (1622-1647م) إلى استعمال القوة من خلال شن حملة عسكرية ضد الجزائر، انتهت بهزيمة الجيش التونسي في معركة السطارة قرب مدينة الكاف في 17 ماي 1628م[17]، وذلك في عهد **حسن** باي قسنطينة حيث أجبرت الحكومة التونسية على إبرام اتفاق جديد لضبط الحدود نصت على ما يلي:

- يبقى مجرى وادي صراع هو الحد الفاصل بين البلدين في المناطق الجنوبية.
- يقوم التونسيون بتهديم المراكز العسكرية التي أسسوها في المناطق المتنازع عليها.
- يتواصل تحديد الحدود بين البلدين من وادي ملاق إلى الكرش فقلوب النيران. ورأس جبل الحافة، ثم إلى البحر.
- الذين يعبرون الحدود من أي البلدين، لا يتم الإعلان عنهم من طرف الدولة [18].

عندما أصبح **مراد باي** على رأس الحكم في تونس رجع إلى السياسة التي كان **محمد باي** قد سلكها منذ عشر سنوات، وهي التدخل في الضريبة التي كانت تدفع إلى بايليك قسنطينة في عهد **علي خوجة**. وفي ربيع سنة 1700م حدثت معركة بين القوات التي كان يقودها باي قسنطينة والتونسيين، وقد خرج منها **مراد باي** منتصرا وارتكب مجزرة في الأسرى بلغ عدد ضحاياها حوالي خمسمائة من الإنكشارية، وأرسل آذانهم إلى تونس دليلا على انتصاره، ثم فتح المفاوضات مع سلطان المغرب **مولاي اسماعيل**(1672-1727م) للقيام بعمل مشترك ضد الجزائر[19].

كانت أخبار المجزرة قد جاءت بمئات من فرق الانكشارية إلى قصر اداي الجزائر طالبين الأخذ بالثأر، فما كان من الداي **حسن شاوش** (1698-1700م) إلا أن استقال في الحال من منصبه، وخلفه فيه الداي **الحاج مصطفى،** الذي كان جنديا قويا. وقد نظم الداي الجديد حملة لفك حصار **مراد باي** على قسنطينة وهاجم معسكر التونسيين خلال الليل، وحقق انتصارا حاسما، تمكن من تحرير قسنطينة، وسحق القوات التونسية بالقرب من سطيف (العلمة)

بتاريخ 7 أكتوبر 1700م. كما قام الداي **مصطفى** بارتكاب مجزرة ضد الموالين **لمراد باي**. أما الأتراك فقد سمح لهم بإنقاذ جنودهم، وذلك بالتجنيد في فرقة الإنكشارية الجزائرية، و سجن خلالها حوالي 2000 تونسي.

و في سنة 1702م عقد صلح مع **إبراهيم الشريف**[20] الذي خلف **مراد باي**[21]. وقد جاء مؤسس عهد الحسينيين، **حسين بن علي** (1705-1740م)، إلى الحكم كنتيجة لتنظيمه المقاومة التونسية للتدخل الجزائري. وكان طموح حكام الجزائر يعمل على إرغام الحكام التونسيين على دفع كميات من الأقمشة والزيوت سنويا بالإضافة إلى إرسال الهدايا الثمينة للدايات في جميع المناسبات.

وظل دايات الجزائر يشجعون المنافسات الأسرية في تونس للتدخل في شؤونها الداخلية والحصول على امتيازات من الأطراف المتصارعة، حيث تدخل **إبراهيم داي** الجزائر (1732-1745م)، أولا **لصالح علي** ابن أخ الباي **حسين** وولي عهده، وعندما قرر الياي أن يسحب من ابن أخيه ولاية العهد، طلب هذا الأخير مساعدة الجيش الجزائري.

ففي سنة 1735م تمكن الجزائريون من تنصيب حليفهم **علي باشا** (1740-1756م)، بايا على تونس. وقد استقل حسن باي قسنطينة هذه الحادثة، فبادر بحمل خزائن **علي باشا** إلى قسنطينة وجمع الأموال الطائلة، مثل مصادرة حلي ومجوهرات النساء[22].

عندما غير الباي رأيه في علاقة التبعية للجزائر، عندها قرر الباي أن ينتقم منه بمساعدة أبناء **الحسين بن علي** الذين كانوا قد لجئوا إلى قسنطينة. فتمكن الباي من تقديم يد المعونة إليهم سنة 1756م. مقابل فرض يتاوة مالية على الحكومة التونسية تلتزم بها سنويا[23]..وعند تاريخ 1756م انتهى عهد التدخل الجزائري في قضايا تونس نهائيا .

في أيام السلطان **محمود الثاني**، جاءت الأزمة بين الأيالتين نتيجة تطلعات باي تونس التوسعية، حيث بدأ بفرض سلطانه المباشر على جزيرة جربة ثم تدخل في شؤون طرابلس الغرب قبل أن يهاجم قسنطينة. عندما نضع هذه الأحداث في سياق، نرى أنها خاضعة لخطة عامة تتولى أهداف كبار أمراء الدولة الحفصية، وهذا التخطيط لا يتصور إلا على أساس مصالحة فعلية بين العنصر العثماني الحاكم والعنصر المحلي المحافظ على التقاليد و الأعراف السلطانية.

قرر **حمودة** باشا أن يضع حدا للتدخلات الجزائرية في الشؤون الداخلية لتونس، إذ يقول عنه **ابن أبي الضياف**:"...أنه حسن من قوته والقدرة على دفع الغنائم. صار يتعلل على أهل الجزائر، وأخذ في إزالة ما اعتادوه من التعدي، الذي منه أن صاحب الجزائر وقسنطينة يشتري الأنعام ويبعثها للبيع في تونس بثمن يلوح بالإشارة إليه، فتعطل أهل البلاد عن بيع أنعامهم... والذي يموت من تلك الأنعام في الطريق يدعي رعايته أنه سرق منهم في أرض تونس فيزداد ثمنه... وحمودة باشا في خلال ذلك يتجرع الفحص ويجرعها لرعيته"[(24)].

كانت مشكلة العلاقات مع الجزائر من أهم ما واجهه **حمودة** باي، فمنذ أن أعاد الجزائريون أولا **حسين بن علي** إلى حكم تونس، صار لهم أدلاء، وحصلت الجزائر على امتيازات اقتصادية واسعة. فقد كانت تونس تقدم سنويا كمية من الزيت إلى الجزائر، وبسبب تأزم العلاقات بين الطرفين رفضت تونس لمطالب الجزائر المادية، وفي هذا الصدد يذكر **الشريف الزهار** ما نصه: "...فإن حكام تونس كانوا يبعثون مركبا محملا بالزيت وبعض الهدايا الرفيعة كل سنة فقطعوها في قيامه، فكتب على ذلك: فامتنعوا عن الإذعان ووقع الكلام بينه وبين ملكها **حمودة باشا** إلى أن اشتعلت نار الفتنة"[(25)].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن دايات الجزائر أبقوا كثمن عن تأييدهم للحسينيين على حق بيع الأنعام بتونس بسعر محدد يسبق الأنعام التونسية، وكذلك كانوا يتلقون من تونس التجهيزات من زيت الزيتون التي تكفي للمحافظة على إضاءة مساجد مدينة الجزائر[(26)].

ولم يكتف **حمودة باشا** بإجراءات الامتناع عن دفع الضريبة للجزائر بل انتقل إلى مرحلة الهجوم، حيث استغل الظروف التي كانت تمر بها حكومة الدايات في الجزائر وأعطى حق اللجوء السياسي لباي قسنطينة المخلوع مصطفى الإنجليزي[(27)] ووعده بإعادته إلى ولايته. حاول الجيش التونسي غزو مدينة قسنطينة في 24 يناير1807 م، ولكن الجيش التونسي فشل في دخول المدينة، وتكبد خسائرة كبيرة، ولما طلبه ديوان الجزائر بالإتاوة المعتادة، رد عليهم حمودة باشا قائلا: "... لقد كان أجدادنا في السابق يوجهون إليكم الهدايا، إنهم مجانين و لا يفكرون، أما نحن فلسنا على شاكلتهم، وعليه فسوف لن نرسل لكم شيئا وإن كانت حبة قمح "[(28)].

ومن عوامل نجاح سياسة **حمودة** باشا تجاه إيالة الجزائر اعتماده على نشاط الجوسسة التي كانت تنقل له الأخبار من داخل الجزائر، أما في المجال الخارجي فبدأ **حمودة** باشا في محاولة لكسب حلفاء في وجه الأطماع والتحرشات الجزائرية. وقد ظهر خلال هذه الفترة التقارب التونسي –المغربي وهذا من خلال مبادرة **حمودة** الثاني ،.لكن هذا التقارب انحصر في الجانب الاقتصادي الذي تجسد في المبادلات التجارية[29]. لعب **صالح باي** دور كبير بشان مساعيه لتأمين حدود البايليك الشرقي، فتتمثل في موقعه الحازم من باي تونس **حمودة** باشا سنتي 1783و1787م و الذي جعل **الشيخ المبارك** يصف **صالح باي**: "بأنه اليد العليا على صاحب تونس"[30].

يتلخص هذا الموقف الذي وقفه صالح باي من باي تونس إلى حنكته السياسية وحسن تصرفه في مثل هذه القضايا. وتحت تهديد **صالح** باي باستعمال القوة ضد تونس، اضطر **حمودة** باي إلى الرضوخ لمطالب **صالح** باي وتقديم تعويضات، لا سيما وأن وضع تونس كان حرجا لتورطها في خلاف مع جمهورية البندقية، وبذلك حصل **صالح باي** سنة 1784م على تعويض يقدر بخمسة وعشرين ألف سكة لفائدة القبيلة التونسية المقيمة داخل البايليك[31].

حاول **حمودة** باشا وضع حد لتطلعات حكام الجزائر وإبعاد أنظارهم عن فكرة التوسع في الأراضي التونسية، فتابع نزاعه مع الجزائر من خلال ملاحقة عشائر جزائرية خاضعة لحكمه التجأت إلى الأراضي التونسية هربا من المطالب المالية التي فرضها عمال صالح باي، فتجدد النزاع العسكري بين الطرفين فجهز صالح باي قوة عسكرية تناهز 6 آلاف محارب[32] .

وقد تجدد النزاع التونسي- الجزائري من جديد في مستهل القرن التاسع عشر، حين قام **الرايس حميدو** بدور رئيسي في هذا النزاع الحربي، إذ هاجم البحرية التونسية سنة 1808م[33] ، بعد أن تعرضت الجهات الشرقية من الجزائر في عهد باي قسنطينة **حسين بن صالح** لهجوم جيش تونسي مؤلف من عشرين مقاتل، ومجهز بالأسلحة والمدافع تحت قيادة **حمودة باشا**[34].

ولم ينته هذا الصراع والعداء بين الأيالتين، إلا بعد أن أنهكت قوى البلدين معا،مما أثر في أوضاع البلدين الاقتصادية والعسكرية. وقد حدثت سلسلة المعارك الجزائرية- التونسية الثانية خلال الفترة النابوليونية (1798 - 1815)، ولم تتوصلا إلى وضع حد لهذه المشاكل والصراعات العسكرية إلا بعد توسط الباب العالي سنة 1817م بينهما، وإبرام الصلح بين الطرفين، تخلى على إثرها الطرف الجزائري عن المطالبة بالإتاوات المعتادة[35]. لم ينسى بايات تونس العداء التقليدي لدايات الجزائر، لهذا كان موقفهم المؤيد من الاحتلال الفرنسي للجزائر، ورفضهم لأية مساعدة تقدم إلى حكومة الدايات. وكانت النتيجة العملية هي ابتلاع فرنسا لكل من الأيالتين فيما بعد. إن احتلال الجزائر سنة 1830م، كان تمهيدا لاحتلال تونس والمغرب، وكان موقف **حسين باي** (1824-1874م) من النزاع الفرنسي الجزائري يتأثر بعدة نواح:

- العداء التقليدي بين الإيالتين، فبالرغم من أن الدولة العثمانية نجحت سنة 1821م في إجبار الطرفين على عقد الصلح، فإن النفوس لم تصف، فقد مر في تونس سنة 1825م **أبو عبد الله محمد التجاني** ابن شيخ الطريقة التيجانية الثائرة ضد أتراك الجزائر. ولما علم داي الجزائر بذلك طلب من **حسين باي** اعتقاله بتونس أو إرساله إلى الجزائر. ولكن **حسين باي** رفض وسهل وصول الشيخ التيجاني إلى مركزه في عين ماضي.
- طمع الباي حسين أن يحل أحد أفراد أسرته في الجزائر محل الداي، أو التوسع على حساب الجزائر فيضم إليه إقليم قسنطينة فيما بعد.
- خوف حسين باي من الفرنسيين و أطماعهم التوسعية.

فبالرغم من تعاطف الرأي العام التونسي مع الجزائر فإن **حسين باي** امتنع عن تقديم المساعدة للجزائريين، فمنع مرور **طاهر باشا** عبر تونس إلى الجزائر مما أدى إلى فشل مهمته، وأرسل وفدا لتهنئة قائد الحملة الفرنسية **دي بورمون** على نجاحه في احتلال الجزائر. ومنح الفرنسيين كل التسهيلات لشراء ما يلزم الحملة من الحيوانات. كما منع تهريب البارود من تونس إلى قسنطينة[36].

وخلال فترة الحصار الفرنسي للجزائر سنة 1827م، شجع باي تونس القوات الفرنسية على تكثيف قواتها البحرية المتمركز في الساحل الشرقي، كما جهز أربعة زوارق مدفعية لحماية الأسطول الفرنسي من ضربات السفن الجزائرية[37].

2. دور المغرب الأقصى:

لقد كانت العلاقات بين الجزائر والمغرب تمتاز بالتنافس الشديد خلال المرحلة الأولى من تأسيس الأيالة، وقد كانت الخلافات في القرن السادس عشر تدور حول مراقبة تلمسان والمناطق المحيطة بها[38]. ومن المعروف أن سلاطين المغرب وقفوا حجرة عثرة أمام التوسعات العثمانية في غرب الأيالة الجزائرية. وكان الهدف العثماني من المشاريع التوسعية هو تحقيق السيطرة على طريق الذهب الذي يربط المغرب ببلاد السودان، والوصول إلى المحيط الأطلسي لفك الحصار الذي فرضه البرتغال على الدولة العثمانية جنوب القارة الأفريقية. حاول سلاطين المغرب السعدي تحقيق مغرب الموحدين وهذا ما أشار إليه المؤرخ المغربي **التمقروتي**[39] بقوله: "والعثمانيون إنما عملوا وقادوا الأمر في الحقيقة، نيابة، وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها وهم موالينا وساداتنا الشرفاء ملوك بلاد المغرب"[40].

كانت هناك وشائج تاريخية قديمة تربط مدينة تلمسان والأسر التي تعاقبت الحكم في المغرب، فوجد هؤلاء قاعدة شعبية يستندون عليها لتهديد التواجد العثماني بالجزائر. وازداد التنافس حول هذه المدينة الحضارية والاستراتيجية، فالذي يسيطر عليها يملك التدخل في عمق المغرب والجزائر، زيادة على كونها محطة تجارية هامة، لهذه الأسباب كانت منذ البداية مطمحا لحكام المغرب وهدفا لغزواتهم التوسعية منذ العهد المريني، وقد لخص **الحسن الوزان** هذه الوضعية قائلا: "وقد استقر الملك في بني زيان ثلاثمائة سنة، غير أنهم اضطهدوا من قبل ملوك فاس – أي بني مرين– الذين احتلوا تلمسان نحو عشر مرات، حسبما جاء في التاريخ. وكان مصير ملوك بني زيان حينئذ أما القتل أو الأسر أو الفرار إلى المغارات عند جيرانهم الأعراب،وتعرضوا أحيانا أخرى إلى الطرد من قبل ملوك تونس"[41].

لقد صادف نزول العثمانيين في المغرب العربي، بداية حكم الأسرة السعدية للمغرب الأقصى (1524م). وكانت ولادة هذين النظامين المتنافسين، كرد فعل ديني لما لحق بمسلمي الأندلس من ناحية و العدوان الإسباني والبرتغالي على سواحل المغرب من ناحية ثانية، ووضع حد للصراع المسيحي الإسلامي على أراضي أوروبا. لقد ساهم العثمانيون في الجزائر منذ مطلع القرن السابع عشر على تجزئة المغرب الأقصى إلى إمارات تابعة للأشراف والزوايا والطرق الصوفية .وحالت المنافسة القبلية وعداوة الأمراء السعديين واتباعهم لرجال الدين، دون الوصول إلى توحيد المغرب الأقصى من طرف زعماء الزوايا والطرق الصوفية[42].

لقد وجد الملوك المغاربة في توظيف تيار النسب الشريفي الفرصة الملائمة لخدمة مصالحهم التوسعية من الناحية الشرقية، مستغلين في ذلك المساندة الشعبية التي كانوا يتمتعون بها داخل الجزائر[43]. ولتحقيق هذا المشروع السياسي الطموح، اعتمد المغرب على نفوذ الطرق الصوفية، والتي كانت مراكزها تشكل حلقة تمتد من فاس إلى تلمسان وتونس مرورا بالواحات. وكانت الطرق الصوفية تشجع سلاطين المغرب في استمالة العائلات الكبرى التي تتمتع بنفوذ روحي في أيالة الجزائر.

وبفضل القاعدة الشاذلية (أكثر الطرق الصوفية انتشارا في المغرب الأقصى)، كانت مدينة تلمسان تفتح أبوابها مرارا للجيوش المغربية في العهد السعدي. وتتضح لنا صورة الصراع الجزائري-المغربي في العهد السعدي على شكل حملات عسكرية دامت ما يقارب ربع قرن من سنة 1551م إلى 1576م. من أول حرب بين **محمد الشيخ وحسن بن خير الدين**، إلى آخر حملة قام بها **القائد رمضان** على فاس في زمن حكم **المتوكل**[44].

اتخذ الصراع الجزائري المغربي في هذا العهد أشكالا مختلفة: حروب ومعاهدات:

- حملات **محمد الشيخ** (المهدي) (1539-1556م)، كان التجاء **أبي حسون** آخر سلاطين الدولة الوطاسية. إلى الجزائر باعثا لمحمد المهدي على أن يغزو تلمسان سنة 1551م، وهي لا تزال محية إسبانية، واستمر حصارها تسعة أشهر، وجاءت نجدات عثمانية أرسلها **حسن باشا** [45] بقيادة **حسن قورصو**[46]، الذي هزم الجيش السعدي وأبرم معاهدة وادي ملوية مع **محمد الشيخ** جاءت في سبعة بنود:

- وادي ملوية هو الحد الفاصل بين البلدين.
- احترام الحدود الفاصلة بين البلدين الموروثة عن مملكتي الزيانيين والمرينيين.
- عدم الاعتداء على بعضهما. البعض .
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل بلد.
- عدم تأييد الثائرين على النظام القائم بكل بلد.
- التعاون بينهما ضد الأسبان[47].

خرق **المهدي** نصوص معاهدة ملوية، وبدأ يوجه غاراته على منطقة تلمسان تمهيدا للاستيلاء عليها. وفي الوقت نفسه بدأ في اتصالات بإسبان وهران لإجراء مفاوضات حول مشروع التحالف السعدي الإسباني ضد الجزائر، على إثر هذه الخيانة، توجه **صالح رايس** بحملة وانتصر على جيش المهدي في وادي سبو في شهر جانفي سنة 1554م، ونصب **صالح رايس** السلطان **أبي حسون** على عرش فاس[48].

تمكن **محمد الشيخ** من القضاء على **أبي حسون** سنة 1554م، واستغل الصراع القائم بين طائفة الرياس والإنكشارية على السلطة في الجزائر، واعتمادا على التقارب السعدي الإسباني نتيجة لمشروع التحالف بينهما ضد الجزائر، أعد الشريف **محمد الشيخ** جيشا للاستيلاء على تلمسان ولكنه فشل بسبب ضعف قدراته العسكرية. وأراد **أبو محمد عبد الله الغالب** (1556-1573م)، تحقيق مشروع أبيه التوسعي في الجزائر بالاستيلاء على تلمسان سنة 1558م معتمدا على الحلف السعدي- الإسبان[49]، واتفق مع ملك إسبانيا **فليب الثاني**(1598-1621) على أن يهاجما الجزائر في وقت واحد، وسلم له ضمانا لذلك ميناء طنجة ومدينة باد[50]. لقد جهزت إسبانيا ثلاثة جيوش أبحرت من موانئ الأندلس وقادس ومالقة وقرطاجنة صوب وهران والمرسى الكبير ومستغانم[51].

لقد هاجم الأسبان مستغانم من البحر والبر، بينما السلطان **عبد الله** تولى مهاجمة تلمسان واستيلاء عليها، غير أن **حسن باشا** تمكن من محاصرة الإسبان والقضاء عليهم في معركة مزغران في أوت 1558م، وقتل قائد الجيش

الإسباني الكوديت (Alcaudète) وأسر الكثير منهم. وبهذا الانتصار قرر **عبد الله** الانسحاب من تلمسان قبل وصول جيش **حسن باشا**[52] ، ولما أبعد **حسن** باشا الخطر الإسباني من مستغانم جهز جيشا كبيرا وسار به إلى المغرب تحت قيادة **قارة بوسنو**، وعند وادي اللبن [53]نشبت معركة انتصر فيها الجيش الجزائري على عبد الله.

لما تولى **محمد المتوكل** (1573-1576م)، العرش السعدي، عزم على خلع **عبد الملك وأحمد المنصور**، فاتصلا بالسلطان العثماني فأحالتهما إلى حكام الجزائر لمساعدة **عبد الملك** في استرجاع ملكه بفاس. فتوجه القائد **رمضان** إلى فاس بجيش كبير قوامه خمسة آلاف مقاتل، وانهزم **المتوكل** أمام القوات العثمانية عند وادي سبو، ثم في معركة قرب وادي الريحان، سنة 1575م، وبفضل الغنائم التي استولى عليها **عبد الملك** من جيش **المتوكل**، تم تسديد التعويضات إلى الجيش الجزائري وتقديم هدايا معتبرة للسلطان العثماني[54].

كما وصل التدخل الجزائري في الشؤون المغربية أوجه في النصف الأخير من القرن السابع عشر مع حصول العلويين شرفاء المغرب الأقصى على العرش. لقد وجدت الأسرة العلوية مضايقة من الجانب العثماني المستقر بالجزائر، . و الذي كانا يؤيد منازعي السلطة بالمغرب، فواصلوا بذلك سياستهم القائمة على التدخل والتي يعود تاريخها إلى العهد السعدي. اختار حكام الجزائر جانب الدلائيين لما ثاروا على المولى **اسماعيل** سنة 1677م، كما أنهم مدّو يد المساعدة إلى **خضر غيلان** الذي كان يسعى لتأسيس إمارة مستقلة في منطقة شمال المغرب، مما يعني أنّ الجزائر العثمانية اتخذت منذ البداية موقفا عدائيا إزاء الدولة العلوية. فاتسمت هذه العلاقات بالتوتر والتأزم أحيانا، وبالحروب تارة أخرى. وهذا منذ أول غارة قام بها السلطان **محمد** على وجدة سنة 1646م إلى قيام السلطان **سليمان** بحملات على منطقتي قورارة، وتوات سنة 1808م.

قام **محمد الشريف** العلوي (1640-1658م) بدافع التوسع على منطقة وجدة التي كانت تابعة للجزائر العثمانية زمنئذ، وأغار على قبائل بني زناسن، وبني مطهر وذوي يحيى وبني سنوس. وبني عامر، والجعافرة والأحرار والفاسول وعين ماضي[55]، وكرد فعل لهذه الغزوات، قام **أحمد باشا** (1650-1656م) حاكم الجزائر بإرسال حملة

عسكرية لمواجهة غارات الشريف العلوي، انتهت بعقد معاهدة تمّ بموجبها تخلي الجزائر عن أراضي غربي تافنة إلى وادي ملوية لصالح المغرب العلوي[56].

حدد **المولى الرشيد** (1664-1672م)، المعاهدة المبرمة مع إيالة الجزائر، ليتفرغ بعد ذلك للاستيلاء على المغرب المجزأ إلى إمارات، ولكنه أغار من جديد على قبائل بني بزناسن الموالية للأتراك العثمانيين، وما لبث أن انسحب إلى تازة مكملا مشروعه التوحيدي للمغرب[57]. وتابع **مولاي إسماعيل** (1672-1727م)، مشروع أخوية للتوسع في الجزائر، ومهّد لذلك بتحريض سكان تلمسان على الثورة ضد التواجد العثماني بالجزائر، وتوغل الجيش المغربي في الصحراء ثم في وادي الشلف، وانضم إليه بنو عامر سنة 1676م[58]، فهاجم الجيش الجزائري المحلة المغربية بالمدفعية، فقرر مولاي اسماعيل الانسحاب وقبول عرض الجزائر بإقرار الحدود القديمة[59].

قام اسماعيل بعقد معاهدة سان جرمان في 29 جانفي 1682م مع الملك الفرنسي **لويس الرابع** وإقرار التعاون المغربي الفرنسي. وفي 1682م أعلنت الجزائر مساندة **ابن محرز** ضد السلطان العلوي، وخلال هذه المرحلة تأزم الوضع في الجزائر حيث عمد الأسطول الفرنسي بقيادة الأميرال **دوكين**، الذي تلقى الأوامر بتخريب مدينة الجزائر.

لقد كان الفرنسيون معتمدين على سلاح جديد، وهو مدفع يطلق قذيفة ضخمة من المتفجرات على مسافة تقدر بـ (1.350 مترا). إن القصف قد أودى بحياة حوالي خمسمائة شخص وهدم حوالي خمسين عمارة [60]. وقد تصدى الداي **بابا حسن** (1682-1683م) لهذه الحملة، كما أرسل حامية عن طريق البحر لنجدة تلمسان، وهزمت **اسماعيل**، الذي تراجع واعترف بالحدود مع الجزائر. لم يتراجع السلطان **اسماعيل** عن أهدافه التوسعية، فاغتنم فرصة الاضطرابات التي عرفتها الجزائر بعد حملة **دوكين** (Duqueusne)، وثورة الانكشارية على الداي **حسين باش**[61]، فتحالف مع **محمد** باي تونس(1675-1696)، وبتحريض من الانجليز والهولنديين الذين أقلقتهم معاهدة الجزائر مع فرنسا [62].

في سنة 1691م، وجه **مولاي اسماعيل** جيشا بقيادة نجله **زيدان** لردع قبائل بني عامر الذين كانوا يعرضون خدماتهم تارة على العثمانيين وتارة على أخرى على المخزن المغربي، فردّ الداي **الحاج شعبان** (1688-1695م) على هذا التعاون بإرسال حملة أدت إلى انهزام **زيدان** وتراجعه إلى فاس[63].

وقد أسفرت المعركة على خسائر جسيمة، أدت إلى مقتل 5000 مغربي و 100 قتيل عن الجانب الجزائري[64]. فطلب **اسماعيل** الصلح بعد توسط العلماء والأولياء الموالون للعثمانيين ،وهم أتباع الطريقة القادرية الجيلالية، والشاذلية، والأولياء الموالون للعلويين وهم أتباع الطريقة الطيبية الوزارنية، والدرقاوية. فوقع الطرفان معاهدة صلح في وجدة ،انحصرت أهم نقاطها في البنود التالية:

- اعتراف اسماعيل بوادي ملوية كحد فاصل بين الجزائر والمغرب.
- تتوقف الاعتداءات و التحرشات العسكرية بين البلدين.
- تسريح اسماعيل لجيوشه غير الضرورية.
- يدفع اسماعيل ضريبة إلى الداي[65].

بعد هذه التسوية لجأ السلطان **إسماعيل** إلى إبرام معاهدة صداقة وتجارة مع فرنسا، ومثلها مع باي تونس **مراد بن علي** (1696-1703م)، واتفاقا معاً على مهاجمة الجزائر في زمن واحد من الشرق والغرب. وبعد أن انقضى صلح سنة 1700م، أقدم مولاي **اسماعيل** بالزحف على الجزائر، وأغار **زيدان** على معسكر عاصمة بايليك الغرب، مستغلا غياب الباي **مصطفى بوشلاغم**[66]. كما قام اسماعيل باكتساح الأراضي الجزائرية في 28 أوت 1701م فوصل إلى مشارف وادي جديوية[67] ، إلا أن الهجوم المغربي كلف جيش **اسماعيل** خسائر بشرية حيث قتل 3000 مغربي، وجرح اسماعيل قرب وادي شلف، وكاد أن يقع قي قبضة جنود الإنكشارية [68].

لم تتوقف أطماع **اسماعيل** التوسعية في الجزائر رغم الهزائم المتكررة، ففي سنة 1708م قادة حملة لمهاجمة وهران- لا تزال تحت الاحتلال الإسباني- فتوجه جنوب مرسى أرزيو، وتصدى له الباي **مصطفى بوشلاغم**[69] ، وهزمه في مكان يدعى زبوجة الغرب[70]. ومنذ هذه الكارثة توقفت عمليا كل المواجهات العسكرية الكبرى مابين القوتين ، لأن كلا من الجزائريين وجيرانهم المغاربة انشغلوا بالقضايا الداخلية لا سيما القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي ساعدت على إذكاء الثورات المحلية، فضلا عن الضغط الأجنبي. أما السلطان **اسماعيل** فاكتفى بإرساله ابنه **عبد الملك** الذي أغار على الجنوب ووصل بالحاميات المغربية إلى عين ماضي حيث تمركزت بقرية بوسمغون[71] ما بين سنوات 1710-1713م، زمن حكم **الداي علي شاوش**.

أقدم سلطان المغرب **سليمان العلوي** (1792-1822م)، على إرسال حملة[72] من فاس للاستيلاء على وجدة وكانت يومئذ تابعة للجزائر وعليها الخليفة محمد باي وهران. وكتب **سليمان** إلى باي وهران يطلبه بالتخلي عن المنطقة وعن قبائلها أو يدخل معه في حرب[73]. فتخلى عن قبائلها ومنطقة رأس العين[74].وهكذا تدخل السلطان **سليمان** في شؤون الجزائر الداخلية، بتغذيته للفتن، وتحريضه للثوار ضد التواجد العثماني بالجزائر، بهدف توسيع حدود المغرب والاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الجزائرية الغربية، وهذا بتشجيعه لابن الشريف الدرقاوي، وتحالفه مع باي تونس **حمودة بن علي** (1782-1814م)، وتشجيعه **لإبن الأحرش** بواسطة تقديم المال والسلاح.

انتهز السلطان المغربي **سليمان** فرصة انشغال الجيش الجزائري بإخماد الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري، وثورة **ابن الأحرش** بالشرق الجزائري، ومواجهة حملات الباي **حمودة** على قسنطينة[75]. فقام بسلسلة من الحملات على الجنوب الغربي للجزائر، بمساعدة قبيلة ذوي منيع، واستولى على فقيق سنة 1805م[76] زمن حكم الداي **مصطفى باشا** كما

قام بحملات على منطقتي: قورارة وتوات واستولى عليهما سنة 1808م زمن حكم الداي **علي خوجة الغسال** (1808-1809م).

يظهر لنا من خلال ما تقدم أن القلق العثماني ازداد من جراء الأطماع المغربية، ونستشف هذا من خلال رسالة بعث بها أحد الدايات[77] إلى **لويس رابع عشر** يشك من اتفاق مزعوم بين المغرب وتونس لتصفية الوجود العثماني في شمال إفريقيا. وقد تطور هذا النزاع بعد أن اتخذ صفته الدولية بتدخل جهات أجنبية، والتي كانت لها مصلحة في هذا الصراع مثل إسبانيا وفرنسا والبرتغال، لأن هذه الدول لم تكن لترضى بالتقارب الجزائري-المغربي، لأنه يهدد مصالحهم في المنطقة. فسعت الأطراف الأوروبية إلى دفع المغرب وسلاطينه لإثارة الفوضى والفتن داخل الأراضي الجزائرية[78].

وهكذا يتبيّن لنا أن البلدان الأوروبية، كان لها دور حاسم في العلاقات المغاربية، فهي محور أساسي في علاقات التلاقي والتحالف بين الجزائر والمغرب وتونس، فكانت القوى الأوروبية تتدخل باستمرار في الشؤون الداخلية لهذه البلدان، لبث روح التفرقة، ولتدعيم مصالحها وامتيازاتها في المنطقة.،و العمل على عدم بروز تكتل مغاربي من شأنه تهديد مصالح أوروبا مستقبلاً.

والواقع أن أوروبا قد سيطرت على التجارة و فرضت شروطها على العوالم الأخرى بفضل تفوقها التقني و العسكري. و مع نهاية حروب نابليون(1815)، و إقرار سياسة الوفاق الأوروبي في مؤتمر فيينا(1815)، بدأ تطبيق المخطط الأوروبي الذي يهدف إلى إلغاء دور بلدان المغرب العربي الدولي القائم على ممارسة الجهاد البحري،
و استخدمت الدول الأوروبية منطق المهادنة و المعاهدة المعتمد على القانون الذي يبقى قانونا أوروبيا في أساسه.
و استخدمت القانون البحري الدولي لضغط على هاته الدول في الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط لتبلعها الواحدة تلو الأخرى بدءا بالجزائر سنة 1830 و انتهاء بالمغرب و ليبيا سنة 1912م.

الإحالات :

(1) صلاح، العقاد، المغرب في بداية العصور الحديثة، مصر: دار المعارف، 1962-1963م، ص56.

(2) A.cour, l'établissements des dynasties des chérifs du Maroc et leurs rivalités avec les Turcs de la régences d'Alger, 1509-1830, éd Leroux, Paris 1904, PP.244-245.

(3) حول سياسة الأتراك اتجاه المغرب و العلاقات السياسية بين المغرب وإيالة الجزائر في العهد العثماني، راجع الدراسات القيمة:

- جلول، المكي، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 631 إلى 1263 هـ/ 1234-1847م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر 1413هـ/ 1993م.

(4) A.Cour, op.cit, P.245.

(5) ibid, PP.230-236.

(6) عبد الجليل التميمي "التشكل الإداري و الجغراسياسي للأيالات العثمانية بالجزائر و تونس و طرابلس الغرب (1557-1588م)"،في كتاب تحية تقدير للأستاذ خليل الساحلي أوغلو (جمع و تقديم: د.عبد الجليل التميمي)، زغوان: منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، ج2، أكتوبر- نوفمبر ،1997م، ص 454.

(7) إذا استقرئنا التاريخ، نلاحظ أن بلدان المغرب العربي فشلت في تكوين تكتل سياسي موحد يكون امتداد لعمل الدولة الموحدية. وبالرغم من محاولات سلاطين آل عثمان تحقيق هذا الحلم، فإن العلاقات السياسية بين مختلف بلدان المغرب العربي تميزت بالتوتر والعداء فيما بينها.

(8) عبد الجليل، التميمي، "رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية المغربية في القرن 16م" المجلة التاريخية المغربية، العدد -30، تونس، جويلية 1983م، ص 93.

(9) عزيز سامح، ألثر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية (ترجمة: محمود علي عامر)، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 1989م، ص 227.

(10) لقد ساعد المناخ النفسي والاجتماعي على إنجاح حملة قليج علي باشا للعمل على ضم تونس، أنظر:

عبد الجليل، التميمي، "رؤية..."، المقال السابق، ص 94.

(11) عبد الجليل، التميمي، "التشكل"، المقال السابق، ص 460.

(12) وليم، سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر (تعريب وتعليق: عبد القادر زبادية)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م،ص 137.

(13) استمرت التقاليد المملوكة القديمة في إطار التنظيمات العثمانية. ولعل عراقة التقاليد الحكومية في تونس سهلت قيام أسر فيها بعد فترة قصيرة من الحكم على النمط العثماني. وقد مر الحكم العثماني في تونس بأربع مراحل متفاوتة المدة والأهمية:

1. الفتح وحكومة الباشاوات 1574-1590م.
2. حكومة الدايات 1591-1631م.
3. الأسرة المرادية 1631-1705م.
4. الأسرة الحسنية 1705-1957م.

(14) عبد الجليل، التميمي، "التشكل"... المقال السابق، ص 460.

(15) صلاح، العقاد، المرجع السابق، ص 56.

(16) H.Hugon, les emblèmes des Beys de Tunis, E.Leroux, Paris, 1914, P.54

(17) حسن عبد الوهاب، حسني، خلاصة تاريخ تونس، ط3، تونس: دار الكتب العربية، 1372هـ، ص 136.

(18) E.Vayssettes, « histoire Histoire des derniers Bey de Constantine »,in RA, (N°6), 1862, PP.331-345.

(19) H. Hugon, op.cit, P.54.

(20) ويمثل عهد إبراهيم الشريف (1702-1705م) مرحلة انتقال بين الأسرتين المرادية والحسينية. فبسبب رفض مراد الثالث أوامر السلطان العثماني مصطفى عن التوقف في قتال الجزائرية، حينئذ أوعز السلطان إلى إبراهيم الشريف بالتخلص من مراد باي سنة 1702م.

(21) M.Gaïd, l'Algérie sous les Turcs, Alger, éd, Mimouni, 1991. , P.151

(22) المبارك ، المبارك، أحمد، تاريخ قسنطينة (تحقيق : رابح بونار)، د.ت. ص24.

(23) V.Picquet, les civilisations de l'Afrique du Nord, Barbaresque Arabe-Turcs, A.colin, Paris 1909, P.257

(24) ابن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط2، الجزائر: الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1971م. ، ج3، ص 55-56.

(25) الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، (تحقيق: أحمد توفيق المدني)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م. ، ص 96.

(26) وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 138.

(27) الباي مصطفى الانجليزي (1798-1803م).

(28) المبارك، المصدر السابق، ص 28.

(29) تعود فكرة التحالف التونسي – المغربي ضد الوجود العثماني في الجزائر إلى عهد الحفصيين والوطاسيين، لكن ضعف الدولتين حال دون تحقيق تحالف عسكري ضد الوجود التركي.

(30) المبارك، المصدر السابق، ص 28.

(31) ناصر الدين، سعيدوني، والبوعبدلي، المهدي، الجزائر في تاريخ (العهد العثماني)، الجزائر: وزارة الثقافة، 1984م. ، ص 63.

(32) نفسه، ص 64.

(33) A.Devoulx, Le Raïs Hamidou, A.Jourdan, Alger, 1859. , PP.123-129 .

(34) العنتري، محمد الصالح، سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة، (نشر وتحقيق: رابح بونار، بعنوان مجاعات قسنطينة)، الجزائر، 1974م ، ص 78-79.

(35) كانت ضريبة تونس كل سنة ترسل إلى الجزائر تتضمن 250 جرة زيت، و 20 جرة من الصابون بالإضافة إلى الهدايا التي ترسل إلى قادة الإنكشارية من برانس وعطور وورود وشالات تقدر بـ 150.000 جنيه فرنسي.، للمزيد أنظر:
V. de Paradis, Tunis et Alger au XVIII Siècle,Sindbad, Paris, 1983 , op.cit, P.238.

(36) بخصوص هذا الموضوع، أنظر التفاصيل:
محمد خير، فارس ، فارس، محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دمشق: مطابع ألف باء، الأديب، 1969م،ص 232-233.

(37) E.Plantet, Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France (1579-1833), Paris, F.Alcan, 1889 , T3, P.634.

(38) لقد ورث العثمانيون مملكة تلمسان الزيانية، بحدودها الطبيعية الممتدة إلى وادي، ملوية وزا.

(39) ولد التمقروتي بدرعة في المغرب الأقصى حوالي 1560م، زار الجزائر سنوات 1594-1595م.

(40) أبو الحسن علي بن عمر التمقروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية (تحقيق: هندري دي كاستري)، المغرب 1926، ص 47.

(41) الحسن بن محمد، الوزان، وصف إفريقيا،(ترجمة: محمدحجي و محمد الأخضر)،،ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983ج2، ص8.

(42) تجزأ المغرب الأقصى إلى إمارات، بعضها كان تحت حكم صلحاء مرابطين أصحاب زوايا كالدلائيين في الأطلس المتوسط أو السملاليين في سوس، وبعضها بيد مجاهدين كمحمد العياشي الذي حارب البرتغاليين في البريجة ثم الأسبان في المعمورة، وبعضها كان تحصر نظر رؤساء هلاليين أصحاب عصبية كعرب الشبانات ناحية مراكش، وبعضها تمثل جمهوريات حرة كسلا

وتطوان كان أغلب سكانها من مهاجري الأندلس وكانت تشارك في الجهاد البحري، وكان لهذه الإمارات دور في تفتيت البلاد ونشر الفوضى، للمزيد راجع:

إبراهيم، حركات ، حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ،ط2،الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1405هـ/ 1984م. ج2، ص 284-364.

(43) كانت منطقة تلمسان تضم عناصر من أتباع الطرق الصوفية الشاذلية والجزولية (طريقة أشراف السعديين)، والتي هيأت السكان إلى قبول زعامة سلاطين المغرب السعدي – أنتظر التفاصيل في المبحث الخاص بالثورات.

(44) إبراهيم، حركات، المرجع السابق، ج2، ص 503-314.

(45) حسن بن خير الدين باشا، تولى بايلاربابة الجزائر ثلاث مرات، الأولى: (1554-1552م)، الثانية: (1557-1562)، الثالثة (1562-1567).

(46) حكم الجزائر ما بين (1556-1557م).

(47) أحمد توفيق، المدني، المدني، أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م ، ص 331 وقارن عند: A. Cour, op.cit, PP.102-103.

(48) Henri, Terrasse, Histoire du Maroc, Casablanca, 1950, T2, P.167 .

(49) Garrot, Histoire générale de l'Algérie, Alger, 1910 , P.426.

(50) الناصري، أبو العباس أحمد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، (تحقيق وتعليق: جعفر ومحمد الناصري)، الدار البيضاء: دار الكتب، 1954-1956م. ، ج5، ص 49.

(51) Haedo, Histoire, P.174.

(52) Garrot, op.cit, P.426.

(53) وقعت المعركة بتاريخ 23 مارس 1559م.

(54) Haedo Haedo (Fray, Diego de), Histoire des rois d'Alger , Trad et annotée par (H.D- de Grammont), A.Jourdan, Alger, 1881, P.161.

(55) إبراهيم، حركات، المرجع السابق، ج2، ص 257.

(56) H.Terrasse, op.cit, T2, P243.

(57) تم تجديد نص المعاهدة مع آغا الجزائر علي باشا (1665-1671م) سنة 1665م، راجع في هذا السياق.
A.cour, op.cit, P.183.

(58) لعبت قبلية بني عامر دور مهم في وجه التواجد الإسباني بمنطقة الغرب الجزائري. راجع بهذا الخصوص:

P.Boyer, « Historique des Beni Amer d'Oranie des origines au Sénatus consulte», in **R.O.M.M**, .(N°24),1977 , op.cit, PP.39-85

(59) الناصري، المصدر السابق، ج7، ص 31-42.

(60) جون (ب) وولف، الجزائر و أوروبا (ترجمة و تعليق: أبو القاسم سعد الله)،الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 343-344.

(61) هو الحاج حسين المدعو موزومورتو (1683-1688م).

(62) جمال، قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،1987م ، ص 97-110.

(63) Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque, 1515-1830, Paris, E.Leroux, 1887. , op.cit, P.134.

- (64) ابن ميمون ابن ميمون، محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية (تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.، ص 23-24.

(65) Léon, Galibert, l'Algérie ancienne et moderne, éd, Furue et Cie, Paris, 1844. P.235

(66) الناصري، المصدر السابق، ج7، ص 89.

(67) واد جديوية، هو من روافد واد الشلف، ويوجد اليوم قرية بهذا الاسم.

(68) ابن ميمون، المصدر السابق، ص 27.

(69) حدث هذا الهجوم في عهد الداي حسين خوجة الشريف (1705-1708م).

(70) يقع هذا المكان جنوب سبخة أرزيو، وتدعى غابة مولاي اسماعيل، أنظر: أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص 46.

(71) قرية بوسمغون، تقع شرقي عين الصفراء وغربي البيض جنوب الجزائر.

(72) تتشكل هذه الحملة من أربعة جيوش:

1. جيش الشراقة. 2. جيش عبيد البخاري. 3. جيش مكناسة. 4. جيش الواديا. وهذا في سنة 1795م.

(73) الناصري، المصدر السابق، ج8، ص 104.

(74) رأس العين منطقة تقع شرقي دبدو، وغربي ثنية الساسي – لا نعرف الأسباب التي جعلت حكام الجزائر يتخلون عن هذه الأراضي التي كانت تابعة لهم، والتي كانت لها نتائج على الصعيد الحدودي، حيث نقلت مصالح الحدود من وادي: ملوية وزا إلى شرقي وجدة بالشمال، وإلى رأس العين بالجنوب.

(75) قام حمودة باي بحملتين على قسنطينة سنتي 1807 و 1813م.

(76) مسلم، بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر (تحقيق وتقديم: رابح بونار)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م.

(77) الداي شعبان (1688-1695م) والذي كلف محمد الأمين خوجة لمواصلة توقيع المعاهدة مع فرنسا التي أبرمت في 18 ديسمبر 1690م. ص 51.

(78) عبد الهادي، التازي، "فكرة المغرب العربي، من خلال الوثائق الدبلوماسية"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة دمشق، العدد 13-14، نوفمبر 1983م، ص 9.